ثقافة وفنون
الثورة
Thu. 1 Jul 2004
...13/5/1425 - No
(14477)

تحقيقات

...بجنون) تنتهي بموت في الظلام

...معه مصير هذه المخطوطات

لترميمها وتخليصها من الموت!.

قدمناها وجبة شهية لحشرة (الأرضة) والفطريات التي التهمتها في الظلام وحولت أجزاء كبيرة منها إلى (غربال) وأثرا بعد عين!!

أما من نجا من تلك المخطوطات فظل موضع صراع الورثة يتنافسون على اقتسامها (صفحة صفحة وفصلا فصلا)!

● المخطوطات في المكتبات والخزائن الخاصة، حكاية بدايتها حب ونهايتها موت في الظلام، مشاهد يدمى لها القلب صنعتها أيدينا أكثر مما صنعتها أفكارنا، وهنا لايسعنا سوى أن نقول:

...ام (حشرة الأرضة) وصراع الورثة

مختلف الفنون والعلوم بالإضافة الى ١٠٠٠ مخطوطة أخرى متبقية وكذا ٥٠٠ مجلد مخطوط تم مصادرتها من جمرك حرض أثناء محاولة تهريبها.

أما مكتبة الأحقاف بتريم بمحافظة حضرموت التي تم انشاؤها عام ١٩٧٢م فلها نصيب الأسد من المخطوطات حيث تضم ستة آلاف مجلد مخطوط يصل عدد عناوينها الى ١١ ألف عنوان كتاب ورسالة وبحث ، وتصنف لأكثر من ٢٥ فنا وعلما رئيسيا وهي تشتمل على مخطوطات نادرة ومؤلفات لبعض العلماء من الأقطار العربية والاسلامية.

الوجه الآخر للمخطوطات

● يقول الباحث عبدالوهاب المؤيد : لايوجد رقم معين حول أعداد المخطوطات في البلاد ، حيث تتفاوت الأرقام التقديرية ما بين ٢٠٠ ألف مخطوط ومليون مخطوط ، كما يرى أحد الخبراء الألمان (أريوان) الذي عمل ثلاث سنوات خبيرا متطوعا بهيئة الآثار والمخطوطات ويكاد ينطبق نفس الوضع على المكتبات الخاصة التي لاتتوفر حولها أي احصائيات توضح عددها وأماكن انتشارها علما بأن عددها يصل إلى المئات.

الباحث المؤيد الذي أعد ١٤ دراسة ميدانية متكاملة حول المخطوطات والمكتبات الخاصة خلال أربعة أشهر قال لنا:

لقد ركزت على ست محافظات يمنية تتركز فيها المخطوطات والمكتبات الخاصة والعامة هي: صنعاء وحضرموت والحديدة وصعدة وذمار والأمانة وتحديدا في تريم وزبيد ومدينة صعدة القديمة وضحيان والمكتبة العامة ومكتبة الجامع الكبير بالأمانة توصلت من خلال هذه الدراسة إلى التأكيد على ماكتبه الباحثون من يمنيين وعرب وأجانب ومستشرقين عن غناء اليمن بالتراث الثقافي والفكري ممثلا بالمخطوطات.

واكتشفت من خلال زيارتي للمكتبات الخاصة وجود البعض من أصحابها يصر على ألا يطلع عليها أحداً وخاصة حضرموت وزبيد، ففي محافظة حضرموت وتحديدا مدينة تريم قام العديد من أصحاب المكتبات الخاصة التي تضم مخطوطات مختلفة ونادرة في فترة من الفترات إلى إخفاء مخطوطاتهم بطرق غريبة أضرت بها وذلك أثناء محاولة حصرها وتوثيقها قبل التسعينات خوفا من مصادرتها حيث دفنها أصحابها في التراب وماتو وماتت معهم أسرار هذه المخطوطات!

● حال المخطوطات في مدينة زبيد ومكتباتها الخاصة لايختلف كثيرا عن الوضع في تريم ، حيث هناك إصرار على عدم فتح الأبواب والخزائن المغلقة والمظلمة أمام الباحث أو نحوه، وهنا ليست المشكلة بعينها ، الكارثة كما يصفها المؤيد تتمثل في الوضع الذي آلت إليه هذه المخطوطات داخل تلك الخزائن المظلمة والرطبة يقول المؤيد: بعد محاولات ووساطات تمكنت من زيارة بعض المكتبات الخاصة في زبيد التي وجدت فيها ما يحزن ويدمي القلب ، فخلال فترة حياتي وتجربتي الطويلة لم أشاهد حشرة الأرضة بالعين المجردة، إلا في هذه المكتبات ، حيث أصبحت أوراق العديد من المخطوطات القيمة والنادرة أشبه (بالغربال) ولا فائدة منها، وحينها حذرت بأن هذه المخطوطات إذا لم يتم أنقاذها من هذا الواقع فإنها سوف تصبح خلال عشرين عاما فقط أثرا بعد عين!!

صراع

● ليست كل تلك المشاكل والظواهر المقلقة التي سجلها الباحث عبدالوهاب المؤيد الذي يشير إلى جملة من الأخطار التي تتربص بهذه المخطوطات وأوصلتها إلى هذا الحال ، منها صراع الورثة وتنافسهم عليها واقتسامها لكن تظل مشكلة محاولات تهريبها لخارج البلاد هي الهم الأكبر الذي يقلق المعنين ومحبي هذا الإرث الحضاري من أبناء الوطن حيث يظل عدم قانون يحرم الإتجار بالمخطوطات وفرض عقوبات على المتاجرين هو بحد ذاته مشكلة أخرى.

بارقة أمل

● قيادة وزارة الثقافة والسياحة أدركت الوضع الذي تعيشه المخطوطات في المكتبات الخاصة والشخصية ، فبادرت الى إنشاء أول لجنة تابعة للوزارة مهمتها إقتناء المخطوطات التي تصل إليها من قبل مالكيها الذين يعرضونها للبيع وهي خطوة وصفها الكثيرون بالهامة والأولى من نوعها لم تشهدها الوزارات السابقة.

مسؤول في اللجنة أكد لنا بأن أكثر المخطوطات تم شراؤها هذا العام حيث يتجاوز العدد الـ (٥٠٠) مخطوطة مشيرا بأن الاخ خالد الرويشان وزير الثقافة والسياحة يبدي اهتماما كبيرا بالمخطوطات التي تتسلمها اللجنة، بل ويشرف بنفسه على بعض العمليات الاقتناء ويحث اللجنة على الدقيق للمخطوطات وسرعة ترميم وصيانة تلك المخطوطات التي تأتي تالفة ، عضو لجنة اقتناء المخطوطات أشار الى أن معظم المخطوطات تأتي من صاب وشهارة وبيت الفقيه وحضرموت وصنعاء وسيئون.

لم يكتمل

● مختص في الادارة العامة للمخطوطات أشار إلى أن مشروع المسح الميداني للمخطوطات : في المكتبات الخاصة لم يكتمل بعد على الرغم من أنه بدأ عام ١٩٩٨م حيث بدأ في محافظة حجة التي سجل فيها أغلب المخطوطات التي تتواجد في المكتبات الشخصية والتي وصل عددها إلى نحو أكثر من ١٢٠ مخطوط معظمها نادرة، وتبقى البعض من المكتبات التي لم يشملها الحصر والمسح في المحافظة نتيجة لغياب وثقة المواطن وعدم وعيه بأهمية حصر هذه المخطوطات رغم التأكيد لهم بعدم مصادرتها حيث والهدف هو حصر ما داخل البلاد من مخطوطات فقط.

ثم تلى ذلك مسح ميداني آخر في محافظة عمران على ثلاث مراحل ، ثم شهد العام الماضي مسحاً آخر في مدينة تريم بسيئون حضرموت حيث تم تسجيل أكثر من ٤٠٠ مخطوطة في ثلا وجزء من مدينة عمران مع ملاحظة أن المسح يركز على مهاجر العلم وهي المناطق التي تتواجد بها المخطوطات بحسب إفادة المسؤول الذي يضيف بقوله:

كما تم تنفيذ المسح والحصر للمخطوطات في مدينة زبيد حيث استطعنا دخول بعض المكتبات الخاصة وليس كلها وهذه مشكلة وعائق نواجهه بسبب عدم وعي المواطن بأهمية هذه الخطوة التي نقوم بها والتي من شأنها أن تحافظ على ثروة البلاد من المخطوطات فالمواطن يعتقد – خطأ- أن المخطوطات التي تم حصرها سوف يتم مصادرتها ، إلا أن العكس هو الصحيح حيث هدفنا الحفاظ عليها وتقديم النصح والإرشاد لمالكي هذه المخطوطات الى الطرق العلمية الصحيحة للحفاظ على المخطوطات من التلف بفعل الأرضة وظروف الحفظ الخاطئ ، بل إننا نقوم بدعم البعض بالدواليب الخشبية والمكتبات لحفظ مخطوطاتهم بدون أي مقابل.

كما نقوم بترميم العديد من المخطوطات وتخليص البعض الآخر وحمايتها من حشرة الأرضة بطريقة صحيحة وبسيطة.

ويخلص المختص الى القول إن: الهدف الأساسي هو معرفة جميع المكتبات الخاصة بمختلف محافظات الجمهورية وتسجيل وحصر المخطوطات التي تضمها وإعطائها بما يسمى (رقم السجل الوطني) وذلك حفاظا عليها من أي تهريب أو تصرف ، كما حصل للمخطوطات في أحد جوامع مدينة ثلا حيث تم ملاحقة المخطوطات المسروقة وإعادتها بمساعدة رجال الأمن وذلك نتيجة تسجيلها من قبل.

ويقول المسؤول في ادارة المخطوطات حرصا منا على دخول جميع المكتبات الخاصة فإننا في بعض الأوقات نضطر إلى دفع حوافز مادية رمزية للعديد من أصحاب هذه المكتبات.

إلى هيئة الآثار والمخطوطات

● الدكتور يوسف محمد عبدالله رئيس الهيئة العامة للآثار والمخطوطات كان أكثر تفاعلا مع موضوع التحقيق ولفت نظرنا إلى أن المخطوطات المتواجدة في اليمن نوعان، النوع الأول تملكه الدولة وهي في الحفظ والصون حيث أجريت أعمال ترميمات شاملة وتوثيق وتسجيل وتلقى كل الحماية والحفاظ.

ويتمثل النوع الآخر في المخطوطات الموجودة في المكتبات الخاصة المملوكة لبعض العلماء والمواطنين وهذه المخطوطات يمنع بيعها أو المتاجرة بها خارج البلاد بأي شكل من الأشكال.

ويقول الدكتور يوسف: انطلاقا من حرص الهيئة على الاهتمام بهذا الإرث الثقافي ، تم تشكيل لجنة وإعداد لائحة لها بمعرفة كل من وزارتي المالية والثقافة والهيئة العامة للآثار مهمتها اقتناء كل المخطوطات التي يتقدم بها المواطن إليها بغرض بيعها وتضم كفاءات متخصصة ومؤهلة ، لاتقبل أي مخطوطة إلا بعد أن تتأكد من أهميتها وقيمتها التاريخية وتتوفر جميع الشروط فيها..

ويشير الدكتور يوسف إلى أن اللجنة التي تتبع الهيئة اقتنت خلال العشر السنوات الماضية ما بين ٦-٧ آلاف مخطوطة إن لم يكن أكثر من ذلك ، وينوه إلى أن نسبة هذه المخطوطات لم تسلم من تأثير العوامل والظروف المناخية خاصة إذا كانت من تهامة أو من المناطق الساحلية حيث سطت عليها الأرضة والرطوبة عبر الزمن وذلك بسبب أنها ملك خاص محفوظ داخل خزانات مظلمة وغير مناسبة ويضيف رئيس الهيئة العامة للآثار إقبال المواطنين على بيع المخطوطات للجنة قلت في الفترة الأخيرة حيث لا يأتي للجنة إلا من هو بحاجة للبيع، كما إن جزءاً كبيراً من المخطوطات التي تعد بملكيات شخصية هي موزعة بين الورثة الذي يريد كل فرد منهم أن يقتسم هذه المخطوطات صفحات وأجزاء .. وهذه مشكلة كما إن هناك مواطنين يطلبون قيمة مالية غالية عند عرض مخطوطاتهم للبيع.

لكن على الرغم من تواضع الميزانية الخاصة باللجنة إلا أننا استطعنا إقتناء العديد من المخطوطات القيمة.

ويؤكد الدكتور يوسف بأن العمل جار في تنفيذ مشروعين في زبيد ، يتمثل الأول في مشروع الحصر والتصنيف والتوثيق لجميع المخطوطات التي توجد في زبيد وذلك بدعم فرنسي.

بالإضافة إلى مشروع ياباني لإنشاء مكتبة داخل قلعة زبيد وتأثيثها وتهيئتها لحفظ تلك المخطوطات وذلك بعد أن قطعت الهيئة العامة للآثار والمخطوطات شوطا كبيرا في عملية ترميم القلعة ، حيث سيتم وضع هذه المخطوطات في تلك المكتبة بأسماء المواطنين أنفسهم ، داخل قلعة زبيد ضمن إشراف الهيئة العامة للآثار والمخطوطات.

وينوه الدكتور/ يوسف بأن الهيئة لا تتسلم هذه المنح سواء كانت الفرنسية أو اليابانية ، ولا تقوم بصرفها وإنما تتولى الجهات المانحة نفسها عملية رنفاق هذه المبالغ وإدارتها ماليا وتنفيذ المشروعات والبرامج المتفق عليها ، ومهمة الهيئة هو ضمان سلامة العمل.

أكثر من ٥٠٠ مكتبة شخصية تعيش ظروفاً صعبة رغم العروض الجانبية بعلاجها من قبل (الثقافة)